



آدم وبنوه ، وزينة الحياة ! (1 - 2)

بقلم : رائف محمد الويشي

25 سبتمبر 2017

لم يكن أمام الباحثين في شأن الخلق الإنساني حتي عهد قريب سوي كتب العهد القديم – ونقصد بذلك سفر التكوين – لتحديد عمر الإنسان علي الأرض ، وقد حدد سفر التكوين هذا العمر الإنساني علي الأرض بستة آلاف سنة تقريبا .. لكن العلم الحديث جاء وحلل الجماجم الإنسانية التي تم العثور عليها وحدد هذا العمر الإنساني بمائة ألف سنة علي أقل تقدير ، كما حدد عمر الكون تقريبا بخمسة بلايين سنة ، فلماذا التعارض بين النظريتين؟!

يقول د. عبد الصبور شاهين في كتابه " أبي آدم " أن الإسرائيليات قد توغلت إلي التفاسير الإسلامية ، وهو بذلك يشير إلي تأثير سفر التكوين علي كتب الحديث الإسلامية..

لاشك أن الحاخام المتأسلم كعب الأخبار كان له التأثير الأكبر في تسلسل تلك الإسرائيليات إلي التاريخ الإسلامي ، فقد أسلم في العام 17 هـ بحيلة من الأمويين ، وهم في الأصل من الطلقاء ، أي أولئك الذين دخلوا الإسلام كرها يوم فتح مكة لإنقاذ رقابهم ، وللأسف كتب التاريخ الإسلامي وزور الكثير من الأحاديث النبوية في عهد هؤلاء بعد أن استولوا علي الحكم في عام 41 هـ !

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (ج 3 ص 489) ما يلي :
" جالس كعب أصحاب رسول الله ﷺ ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية " ..

كما ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ عن كعب الأخبار ما يلي :
" قدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم ، وروى جماعة من التابعين عنه ، ومات بحمص في سنة 32 هـ أو 33 هـ أو 38 هـ ، بعد ما ملأ الشام وغيرها من البلاد الإسلامية برواياته وقصصه المستمدة من الأخبار كما فعل تميم الداري في الأخبار النصرانية " ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : لكعب الأخبار مكانة كبيرة عند السلفية الوهابية ، فطالما يعظمه أستاذهم الأكبر ابن تيمية فلا بد أن يعظموه أيضا ، وهم بدورهم من أحفاد وأنصار الأمويين ، والأمويون – كما ذكرنا - هم من سدد الضربات الموجعة للإسلام وأهله من الداخل بعد أن فشلوا في ذلك من الخارج ..

يقول ابن تيمية في " بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية " (ج 3 ص 231) عن الحاخام المتأسلم كعب الأخبار ما يلي :
" تابعي ، مخضرم ، ثقة ، من أوعية العلم ، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن " ..
الملاحظة الثانية : أرى نفسي مضطرا في هذا المقال أن أذكر كعبا وذلك لدوره العميق علي تاريخنا الإسلامي ، ففي صفحات كثيرة من هذا التاريخ تري بصمات هنا وهناك لهذا الحاخام المتأسلم ، لكن ما ذكرناه هنا بشأنه يكفي لتحقيق الغرض ..)

ويذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى (ج 4 ص 332) ما يلي :
" جاء أبو هريرة إلى كعب يسأل عنه ، وكعب في القوم ، فقال كعب : ما تريد منه ؟ فقال : أما إني لا أعرف أحدا من أصحاب رسول الله أن يكون أحفظ لحديث رسول الله مني !! فقال كعب : أما انك لم تجد طالب شيء ، إلا سيشبع منه يوما من الدهر إلا طالب علم ، أو طالب دنيا! فقال أبو هريرة : أنت كعب ؟ فقال : نعم ، فقال : لمثل هذا جنتك " ..

روى مسلم في التمييز (ج 1 ص 175) عن التابعي بسر بن سعيد أنه قال ما يلي :
" اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبي هريرة ، فيحدث عن رسول الله (ص) ، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ، ويجعل حديث كعب عن رسول الله " ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : لم يفارق كعب أبا هريرة منذ أن عرفه ، فكلاهما من اليمن ، وكلاهما مؤيدي الأموية ، ولا غرابة أن أبا هريرة قد احتل

المرتبة الأولى في رواية الحديث ، فقد روي 5374 حديثاً عن رسول الله ، نقل البخاري منهم 446 حديثاً للأسف في صحيحه بينما نقل عن علي ابن أبي طالب 12 حديثاً فقط في صحيحه وهو باب العلم وظل النبي الذي لم يفارقه ، رغم أن أبا هريرة لم يعرف رسول الله إلا لثلاث سنوات ونيف فقط ! هو قدم من قرية دوس باليمن إلى المدينة ورآه النبي للمرة الأولى في الساعات الأولى التي أعقبت خيبر التي وقعت في محرم من عام 7 هـ ، وغادر رسول الله إلى ربه في ربيع الأول من عام 11 هـ !!

الملاحظة الثانية : لا يتناسب عدد الأحاديث التي رواها أبو هريرة عن النبي مع المدة التي قضاها مع هـ ، سواء كانت الأعوام الثلاثة ونيف علي ما ذكره الجمهور ، أو العام وتسعة أشهر على ما ذكره العلامة المحقق محمود أبو رية في كتابه الثمين " شيخ المضيرة " ! هذا بالإضافة إلى نفور أصحاب رسول الله من مجالسته ، بداية من المشاكل التي أثارها في اللحظات الأولى لوصوله إلى خيبر ومرورا بما كان يفعله في طرقات المدينة وتخاذله في موته وانتهاء بمصادرة أمواله من قبل الخليفة عمر لما ولاه علي البحرين واتهام الصحابة له بالكذب علي رسول الله ، وفي مقدمة هؤلاء أم المؤمنين عائشة ، والمصادر في هذا الشأن تفيض !

أم المؤمنين عائشة : روت 2210 حديثاً ، وتزوجت النبي لعشر سنين - أم المؤمنين أم سلمة : روت 378 حديثاً وتزوجت النبي لسبع سنين - أنس بن مالك : روى 2286 ، وكان خادماً للنبي علي مدار الساعة - عبد الله بن عمر : روى 2630 حديثاً ، وهو مكى يعرف النبي قبل أبي هريرة - جابر بن عبد الله الأنصاري : روى 1540 حديثاً ، وهو مديني يعرف النبي قبل أبي هريرة - أبو سعيد الخدري : روى 1170 حديثاً ، وهو مديني يعرف النبي قبل أبي هريرة - عبد الله بن عباس : روى 1660 حديثاً ، وهو ابن عم النبي وعرفه قبل أبي هريرة ..

روي القرطبي في تفسيره (ج 14 ص 357) أنّ ابن عباس قال لرجل مقبل من الشام : من لقيت به ؟ قال : كعباً ، قال: وما سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول : إنّ السماوات علي منكب ملك ، قال : كذب كعب ، أما ترك يهوديته بعد !

ذكر ابن عساکر في تاريخ مدينة دمشق (ج 50 ص 172) أن حذيفة بن اليمان (كاتم أسرار رسول الله) قد اتهم كعباً بالكذب ، فعن الصحابي ابن أبي خيثمة بسند صحيح أنه قال :

" بلغ حذيفة أنّ كعباً يقول : إنّ السماء تدور علي قطب كقطب الرحي ، فقال : كذب ، إنّ الله يقول : إنّ الله يُمسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا " ..

قال ابن منظور في مختصر تاريخ مدينة دمشق (ج 21 ص 187) ما يلي :

" جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال : إن كعباً يقرأ عليك السلام ويبشركم أن هذه الآية نزلت في أهل الكتاب : " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس " ، فقال ابن مسعود: وعليه السلام إذا أنت أتيتّه فأخبره أنها نزلت وهو يهودي " ..

يري د. شاهين في كتابه المذكور في بداية المقال - مستندا علي علماء العلم الحديث - أن الله تعالى قد خلق الكون منذ ملايين السنين ، تماماً كما أقر العلم الحديث ، وأن أبانا آدم المذكور في القرآن هو الأب الناتج من أب آخر خلق في زمن قديم ، أي أن هناك تطورا حدث للإنسان من نفس الجنس ، وهو يعارض الرأي الغربي الذي يقر بأن التطور البشري قد جري من جنس آخر ثم دخل إلى جنس الإنسان ..

يضيف د. شاهين أنه لا ينفرد بهذا الرأي وحده بل نادي به الإمام مالك ابن أنس صاحب المذهب ، ويدلل علي كلامه بقول الله تعالى في سورة آل عمران آية رقم 33 : " إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران علي العالمين " ..

كلمة اصطفى - في رأيه - توافق ما ذهب إليه الإمام مالك ، وهي الاختيار من أفراد عديدين متواجدين مع الذي وقع عليه الاختيار ، أي أنه تعالى اصطفى آدم من بين أشخاص متواجدين بالفعل ، تماماً كما فعل تعالى مع نوح وآل إبراهيم وآل عمران ..

يخالف د. زغلول النجار هذا الرأي المذكور للدكتور شاهين ، ويقول أن الإسرائيليات أثرت تأثيراً محدوداً للغاية علي التفسير الإسلامية ، ويضيف د. النجار أن العلم الحديث الذي يذكر عمر آدم بمئات آلاف السنين لا يجب أن يكون مرجعاً نستند عليه ، فالجمام الإنسانية التي عثروا عليها لا تؤكد قدم الخلق إلا في حالة العثور علي الجسد البشري كاملاً ، فكما عثروا علي جسد الديناصور كاملاً فلا بد أن يعثروا علي جسد بشري كامل كي نصدق نظرياتهم التي تؤكد علي خلق الإنسان منذ مئات أو عشرات الآلاف من السنين ، فالله تعالى - في رأيه - لم يُشهد الإنسان علي بداية خلق الكون أو بداية خلق الإنسان لأن هذا الأمر قد حفظه الله تعالى لنفسه وجعله أمراً غيبياً تاماً علينا ، ويدلل د. النجار علي رأيه بقول الله تعالى في سورة الكهف آية رقم 51 : " ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً " ..

لحكمة يعلمها الله تعارضت البحوث الحديثة مع المستند الوحيد الذي يبين بداية الخلق ، ونقصد بذلك سفر التكوين ، وسواء كان الرأي الأول الذي يتحدث عن آدم قديم وآخر حديث هو الأغلب أو كان الرأي الثاني الذي يعارض الأبحاث العلمية الحديثة ، فالطبيعي هو أن نعرض شرحاً موجزاً لآدم (ع) وأولاده علي الأرض :

ذكر ابن حزم في " زاد المسير في علم التفسير " (ج 1 ص 61) عن ابن عباس أن الأرض قبل خلق الإنسان كانت مرتعا للجن والحيوانات البرية بأنواعها ، فلما طغي الجن فيها أمر الله تعالى الملائكة باستبدالهم من خلق آخر من بني الإنسان ليخلقونه علي الأرض ، قال تعالى في سورة الأنعام 165 : " وهو الذي جعلكم خلائف الأرض " ، وقال في سورة النمل 62 : " ويجعلكم خلفاء الأرض " ، وقال في سورة الزخرف 60 : " ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون " ..

أوردت سورة البقرة – آية رقم 30 - بعض تفاصيل الحوار الرباني مع الملائكة عن بداية خلق الإنسان وما صاحبها من استفسارات من قبل الملائكة ، والذين هم في أعلى مراتب الطاعة حيث قال تعالى فيهم في سورة التحريم آية رقم 6 : " لا يعصون الله ما أمرهم " ، وفي سورة الأنبياء آية 20 قال تعالى فيهم : " يسبحون الليل والنهار لا يفترون " ..

ذكر ابن عباس في التفسير المذكور عن آية البقرة رقم 30 أن الله تعالى قال للملائكة : " إني جاعل في الأرض خليفة " ، ولأنهم كانوا يخشون من تجربة الجن علي الأرض قالوا – غير حاسدين أو معترضين - لله تعالى : " أنجعل فيها من يفسد فيه ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " ، فرد الله تعالى عليهم : " إني أعلم ما لا تعلمون " ..

تولي جبريل (ع) مهمة إحضار تراب من أديم الأرض ، فتحول إلي طين ونفخ الله تعالى فيه فكان آدم هو أبو البشر وسجد له الملائكة بأوامر ربانية ..
وكلمة آدم شائعة الاستخدام في العبرية وتعني " إنسان " ، وهناك رأي آخر أنه سمي كذلك لأنه خُلِق من أديم الأرض ، والذي يعني وجه الأرض أو ظاهرها ، وسميت حواء باسمها لأنها خلقت من جسد حي ..

كان هناك ملك تمرد علي هذا الأمر الرباني ورفض السجود قائلا : " خلقتني من نار وخلقته من طين " ، ثم بالغ في معصيته بإعلان تحديه لله تعالى : " قال رب انظري " ، فاستجاب الله تعالى لطلبه وقال له : " إنك لمن المنظرين " ، عُرف هذا المتمرد لاحقا باسم الشيطان ..

نجح الشيطان في جولته الأولى لغرض يعلمه الله فأفسد آدم وزوجته ، علي إثر ذلك طرد الله تعالى آدم وزوجته من الجنة كي يتحملا وزر المعصية التي سبقها تحذير رباني واضح لا غموض فيه ..

يذكر الباحثون في كتب العهد القديم أن الله تعالى قد خلق آدم (ع) في عام 4026 ق.م ، وأنه توفي في عام 3096 ق.م ، أي أن عمره كما ذكر سفر التكوين يُقدر بـ 930 سنة (التكوين 5 : 3) .. كما يقول الباحثون أيضا أن مكان هبوط آدم علي الأرض كان في منطقة جبال التبت بالهند باعتبارها الأقرب إلي السماء ..

ذكر الحاكم النيسابوري في المستدرک (ج 2 ص 542) عن ابن عباس عن علي ابن أبي طالب أنه قال :
" أطيب ريح في الأرض الهند ، بها آدم صلي الله عليه وسلم ، فعلق شجرها من ريح الجنة " .. قال الحاكم في الهامش : هذا حديث صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه ..

(ملاحظة : يري الكثير من علماء الإسلام – وضمنهم د. عيد الصبور شاهين وكذلك د. زغلول النجار أيضا – أن الجنة المذكورة التي كان يعيش بها آدم كانت علي الأرض ولم تكن في السماء ، فجنة السماء ليس بها جوع ولا عري ، بينما التحذير الرباني لآدم في سورة طه آية رقم 18 كان بطرده خارج الجنة ومواجهة الجوع والعري : " إن لك ألا تجوع فيها ولا تعري " ، وبالإضافة إلي ذلك فالله تعالى يؤكد قبل خلق آدم في النص القرآني في سورة البقرة أن آدم سيكون علي الأرض : " إني جاعل في الأرض خليفة " ، وقد ذكر آدم (ع) في القرآن 25 مرة ، أكثرها في سورة الأعراف حيث ذكر سبع مرات ..) ..

ذكر البخاري في صحيحه (ج 8 ص 62) ، ومسلم في صحيحه (حديث رقم 2841) ، وأحمد في مسنده (ج 2 ص 315) عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال : " خلق الله آدم علي صورته وطوله ستون ذراعا " ..
أضاف أحمد في مسنده : " في سبعة أذرع عرضا ... فلم يزل الخلق ينقص حتي الآن " ..

ذكرت كتب العهد القديم (التكوين 5 : 4) أن حواء أنجبت بنين وبنات ، وكان في كل بطن ولد وبنات ، وتزوج ابن البطن الأول مع بنت البطن الأخرى بغرض الإكثار ..

ذكر الطبري في تاريخ الأمم والملوك (ج 1 ص 98) عن أولاد آدم ما يلي :

" ذكر أن حواء ولدت لأدم (ع) عشرين ومائة بطن ، أولهم قابيل وتوأمته أقليما ، وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ...
وأما ابن إسحاق فذكر أن جميع ما ولدته حواء لأدم لصلبه أربعون من ذكر وأنثى في عشرين بطنا ، قد بلغنا أسماء بعضهم ولم
يبلغنا بعض " ..

كان قابيل هو الابن البكر مع بنت تدعي " أقليما " وكانت جميلة ، وبعد سنتين كان هايبيل هو الابن الثاني مع بنت ثانية تدعي " لُبودا
" ولم تكن جميلة ..

كان قابيل يعمل بالزراعة ، وتذكر كتب العهد القديم (التكوين 24 : 2 - 5) أن زراعته كانت ناجحة إلا أن الإيمان بالله تعالى كان
ينقصه ، وأظهر سلوكيات شريرة ، كان ضمنها الغضب والحسد والبخل ..
كان هايبيل يعمل برعي الأغنام ، سارت تجارته بصورة مرضية ، كان إيمانه كبيرا بالله تعالى ومتواضعا وكريما ، وهو ما اختلف
فيه شقيقه البكر قابيل ..

ذكر القرآن الكريم - في سورة المائدة آية رقم 27 - خلافا صنعه قابيل مع شقيقه هايبيل : " واتل عليهم نبيّ ابنيّ آدم بالحق إذ قربا
قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين " ..

قال الطبري في تفسيره للآية الكريمة عن ابن عباس أن آدم (ع) أراد تزويج ابنته الأولى " أقليما " الجميلة لهايبيل ، وتزويج ابنته
الثانية " لُبودا " الأقل جمالا لقابيل وقال لهما أن الأمر من الله تعالى ..

رفض قابيل الأمر ، وأراد الزواج من الجميلة " أقليما " فطلب آدم من ولديه أن يقدما قربانا إلى الله تعالى لحل هذا النزاع الذي أثاره
قابيل ، فقدم قابيل البخيل القربان من ثمار الأرض التي زرعا ، وكذلك فعل شقيقه هايبيل الكريم من غنمه ، تقبل الله تعالى قربان
هايبيل ورفض قبول قربان قابيل ..

عصي قابيل أباه وتزوج " أقليما " ، كان من الطبيعي أن يعقب ذلك كارثة كعقاب من الله ، فدعي قابيل شقيقه هايبيل إلى الحقل
لزيارته (التكوين 4 : 8) وهناك غدر به وقتله وسقط هايبيل كأول شهيد علي الأرض ، هكذا أخذ الحسد موضعا علي الأرض للمرة
الأولى وترجم عمله في صورة قتل ليسجل الجريمة الأولى علي اليابسة ، ولما سُئل عن أخيه قال " لا أعرف ، أحارس أنا لأخي "
(التكوين 4 : 9) ..

غادر قابيل مع " اقليما " العائلة بسبب جريمته ، فقد أصبح من جراء ما فعل أول قاتل وأول كاذب بالأرض ، عاش تائها مع " أقليما
" وانقرض نسله في الطوفان ..

في الحلقة القادمة إن شاء الله سواصل الحديث ، فإلي لقاء ..

رائف محمد الويشي

أمريكا

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على صفحته ومدونته

www.ahrarmisr.com